الباب الثامن

التربية الدينية

وظيفة الدين فى حياة الفرد وحياة المجتمع :

(١) تمهيد :

تعرضت الحياة البشرية فى مختلف أطوارها لكثير من ضروب المحن وألوان الشقاء، اقتضتها حدّة المنازعات والخصومات بين الناس؛ لاشتباك مصالحهم، وتعارض أطماعهم، ورغبة كل منهم فى الغلبة والسيادة . والاستئثار بالنافع . فتأججت بينهم نار العداوة ، وشبت الحروب . وبغى القوى على الضعيف ، واستبد ذوو الجاه والسلطان ، وضربت الذلة والمسكنة على فريق من الناس لاذنب لهم إلا أنهم عاجزون عن مصاولة الأقوياء الطغاة ، وأنهم يخضعون فى حياتهم إلى أنظمة فاسدة ، وقوانين وضعية ظالمة، حرمتهم كثيراً من حقوقهم الطبيعية فى أن يحيوا حياة كريمة تليق بالإنسان ، وتعرضت الحياة البشرية — كذلك — لألوان أخرى من الفساد والضلال ، حين عميت على الناس مذاهب التفكير فى هذا الكون الذى يعيشون فيه، فراحوا يخبطون على غير هدى . تقودهم عقولهم القاصرة إلى أنواع من العقائد الفاسدة ، والعبادات الباطلة ، وتزين لهم الألوهية فى بعض الكائنات السماوية أو الأرضية ، وتفسر لهم علاقة الإنسان بمجتمعه تفسيراً خاطئاً يجافى القيم الخلقية الصحيحة ، ويهدر المبادئ العادلة ، ويقيم هذه العلاقات على أسس من البغى والظلم والطغيان .

وهكذا شقيت الإنسانية . وحفل تاريخها بالكوارث والويلات ، ولكن الله تعالى، بارئ هذا الكون . ومدبر أمره ، شمل عباده بفيض من رحمته ، فبعث فيهم — على فترات من الزمن — رسلا منهم . يهدونهم إلى الحق ، ويبصرونهم بالخير ، ويأخذونهم بدين سماوى ينظم علاقتهم بخالقهم ، ويرسم لهم المبادئ القويمة التى تكفل لهم الأمن والسعادة ، وتجنبهم الشقاء والمذلة والهوان .

وعرف الناس فى هذا التشريع السماوى الحكيم الأمن والهداية والخير ، إذا تمسكوا به،

وأخلصوا له ؛ فإذا انحرفوا عنه ، وتنكروا له ، فسدت حياتهم . وذاقوا وبال أمرهم .

وهكذا تجلى للناس أثر الدين فى حياتهم ، وأنه مصدر سعادتهم أفراداً وجماعات .

(ب) وظيفة الدين فى حياة الفرد :

١ — الدين يسمو بعقل الفرد ويوجهه إلى التفكير السديد فى الكون ومظاهره ، والاعتبار بما فيه من آيات باهرة ، تنطق بأنها صنع قدرة معجزة خارقة ، هى قدرة الإله الحكيم رب هذا الكون وخالقه ومبدعه .

٢ — والدين يشيع فى النفس المؤمنة الخشوع لله ، والرغبة فى ثوابه ، والخوف من عقابه ، فتسلك طريق الهدى والرشاد ، وتنأى عن سبل الغواية والضلال ، تراقب فيما تأتى وفيما تدع ذلك الوازع الدينى الذى يتمثل فى أطواء النفس ضميراً حيًّا شريفاً ذا قوة وسلطان .

٣ — والدين يرسم للفرد المبادئ المثالية التى تهذب النفس وتصفى الروح ، وتقوم الخلق ، وتصون الجسم ، فتجد فى ظلال هذه المبادئ السعادة النفسية والحسية .

٤ — والدين يدعو إلى رياضة العقل ، وإعمال الفكر فى حرية وسعة ، وهو بهذا يهيئ للفرد مجالات ينتفع فيها بهذه النعمة الإلهية التى آثر الله بها الإنسان دون غيره من المخلوقات .

٥ — والدين منار الفرد يكشف له سبيل الخير والرشاد وهو — — كذلك — دستوره الحكيم ، يحدد حقوقه وواجباته . وينظم علاقته بخالقه ، وعلاقته بأسرته ومجتمعه .

وظيفة الدين فى حياة المجتمع :

١ — يتكفل الدين بصلاح الفرد ، وفى صلاحه صلاح المجتمع ، فليس المجتمع إلا مجموعة من الأفراد .

٢ — يفرض الدين على كل فرد طائفة من الواجبات يؤديها لمجتمعه فيوفر له أسباب الحياة السعيدة ، ويسهم فى بنائه على أسس قوية سليمة . فعلى الفرد ألا يخرج عن الجماعة ، وألا يشق عصا الطاعة ، وأن يتعاون مع أبناء جنسه ، وأن يكون عنصراً إيجابيًّا فى وحدتهم وقوتهم ، وألا يضن بفضل ما له على المحتاج منهم ، وأن يرعى حق الجوار ،

وأن يكف يده ولسانه عن أذى الناس ، وأن يطيع ولاة الأمر ، وغير ذلك من المبادئ التى تحفظ المجتمع . وتهيئ له سبيل القوة والعدالة والسعادة .

٣ ــ الدين من أقوى الروابط التى تؤلف بين القلوب ، وتدعم الوحدة ، وتخلق من المجتمع قوة متماسكة ، يخشى بأسها ويرهب جانبها ؛ لأن هذه الرابطة الدينية إنما تستمد قوتها من امتزاج الأرواح وإخلاص القلوب ، وتعاونها فى سبيل غاية روحية سامية ، يهيم بها الوجدان ، وتهفو إليها الأفئدة ، لاتشوبها الأكدار المادية ، والأطماع الدنيوية .

٤ ــ قد تمتحن الجماعة بلون من الآفات الاجتماعية ، أو الأزمات السياسية ، أو المحن الخلقية ، تخلقها النوازع الجامحة ، والأهواء الجائرة ، وتخفق التشريعات الوضعية فى حسم المشكلة . والاهتداء إلى الحلول الناجعة ، وحينئذ تجد هذه الجماعة فى مبادئ الدين وأصوله البلسم الشافى لهذه الأدواء . فلا تكاد تلوذ بدينها حتى تجد فيه عصمة ووقاء ، فيجتمع شملها . وينتظم أمرها ، وترد إلى معالم الهدى والصلاح .

مكانة التربية الدينية :

للتربية الدينية المكانة الأولى ؛ لأنها التربية الكفيلة بتقويم الناشئين ، والسمو بهم وإسعادهم فى مستقبلهم .

وهى التربية التى تزكى قلوبهم ، وتطهر نفوسهم ، وتربى ضمائرهم ، وتطبعهم على حميد الخصال ، وتدفعهم إلى نبيل الفعال .

وهى التربية التى تعصمهم من النزوات النفسية ، وتحميهم من سلطان الميول الجامحة ، وطموح الأهواء المردية .

وهى التربية التى تنير للناشئين طريق الصلاح والهدى ، فيحرصون على طاعة ربهم ، وقيام علاقتهم بأبناء المجتمع على أساس متين من الحب والتعاون والمناصحة الخالصة .

وهى التربية التى تكون من أبناء الوطن قوة متماسكة ، لاتعصف بها المحن والخطوب ، ولاتنال منها الكوارث والشدائد ؛ لأنها قوة مستمدة من ائتلاف القلوب ، وامتزاج الأرواح .

وهى التربية التى خلقت من العرب أمة وثابة ناهضة ، ثلت عروش القياصرة ، ودكت صروح الأكاسرة ، وحملت نور الإسلام ، فأضاء العالمين .

وسائلها :

لهذه التربية وسائل كثيرة ، ومواطن متعددة . وفرص تتجدد بين حين وحين ، وسنذكر فيما يلى بعض هذه الوسائل :

١ — التعليم الدينى الذى تحدد له الموضوعات . وترسم المناهج ، وسنتحدث عنه فى موضعه .

٢ — القدوة الحسنة التى تتهيأ للناشئ فى والديه وإخوته ومعلميه .

٣ — تهيئة الجو الدينى الصالح فى جميع البيئات التى يعيش فيها التلميذ ، مثل البيت والمدرسة .

٤ — صلاح المجتمع وتمسكه بأصول الدين ، وحماسته لنصر الفضيلة . ومحاربة الرذيلة .

التعليم الدينى

هو من الوسائل التى نعتمد عليها فى تربية الناشئين تربية دينية ، وقد استرد مكانته السامية بين مواد التعليم وأصبح مادة أساسية فى جدول الامتحان ، ونطمع فى أن تكون النهاية الصغرى للدين ٥٠ ٪ وأن يكون النجاح فيه شرطاً أساسيًّا لانتقال التلميذ كاللغة العربية [١]

أسسه :

نقصد بهذه الأسس طائفة من المبادئ التى تجب مراعاتها فى تخير موضوعات الدراسة الدينية ، وطريقة معالجتها مع التلاميذ ؛ حتى لاننحرف عن الطريق السوى ، أو نصطدم بعقبات تحول دون الغاية المنشودة . ومن هذه المبادئ :

١ — أن الدين الإسلامى عقيدة ومعرفة وسلوك . وهذا المبدأ يقتضى تنويع المناهج الدراسية ، واشتمالها على هذه الألوان الثلاثة فى كل صف من صفوف التعليم ، حتى يربى التلميذ تربية دينية متكاملة .

---

(١) يطبق هذا النظام الآن فى امتحانات النقل وامتحان الشهادات .

٢ ــ أن كثيراً من الأحداث العامة والمواقف الحيوية التى تتعلق بها أذهان التلاميذ مجال طيب لإثارة العاطفة الدينية فى نفوسهم ، وهذا يدعونا إلى أن نربط دائماً بين موضوع الدرس والحياة ، وأن نفسر مشكلاتها ونلتمس لها الحلول فى ضوء التعاليم الدينية . والدين قد تناول حياة الإنسان من حيث هو فرد ، ومن حيث هو عضو فى أسرة ، وعضو فى حىّ ، وعضو فى وطن ، وعضو فى الجماعة الإنسانية .

وفى هذه المجالات جميعها مواقف كثيرة متجددة ، من الواجب أن ينتهزها المدرس . ويربط بها دروس الدين ؛ فهذا أجدى فى إثارة العواطف الدينية لدى التلاميذ ، وجذب انتباههم إلى التعاليم الدينية . والانبعاث عنها إلى سلوك حميد رشيد .

فإذا نشرت الصحف مثلا أن فلاناً قد تبرع بكذا من أمواله لإنشاء مسجد أو مستشفى أو مدرسة ، كان فى هذا المثال مادة صالحة لدراسة البرّ ، والعمل لمصلحة الجماعة .

وإذا عرف أن أسرة نكبها الدهر بموت عائلها ، أو احتراق متجرها ، فعطف عليها أناس من ذوى القلوب الرحيمة ، كان فى هذا أيضاً مجال للحديث عن التعاون الإنسانى ، وأثره فى تخفيف الويلات ، وفى وحدة القلوب وسيادة الألفة والمودة .

وإذا روت الصحف مثلا أن بعض التجار يلجئون إلى الغش أو الاحتكار ، أو المبالغة فى رفع الأسعار ، لإشباع جشعهم وطمعهم ؛ اتخذ المدرس من هذا المثال مادة خصبة لدرس فى الخلق الاجتماعى . . . وهكذا ،

٣ ــ الموضوعات المقررة فى المنهج ليست إلا نقط ارتكاز ، وللمدرس أن يصدر عنها إلى آفاق بعيدة ، يرى فى ارتيادها مع تلاميذه تنمية للروح الدينية ، وإيقاظاً للمشاعر الوجدانية .

٤ ــ التقليد غريزة تتحكم فى سلوك الفرد ، والتلميذ ــ بحكم هذه الغريزة ــ يقلد ما يراه ، يقلد الحسن ، ويقلد القبيح . ومن هنا يأتى دور التربية الدينية ، ومن مهمتها أخذ التلميذ بالسلوك الحميد ، وهذا السلوك لا يكتسب بسرد المواعظ وإلقاء الأوامر ، ولا يحصل بالحفظ أو التلقين ، وإنما يكتسب بالقدوة الصالحة ، والمثل القويمة مع الرقابة الحازمة الواعية ، وقد تخفق المعارف الدينية فى تهذيب السلوك ، إذ ليس من المحتم أن يكون صادقاً من يعرف فضل الصدق ، ولكن قلّ أن تخفق القدوة الطيبة فى هذا المجال . فإذا نجحت المدرسة ــ إدارتها ومدرسوها وجميع العاملين بها ، فى ألا تقع عينا التلميذ إلا على كل مظهر حسن ،

ولا تتلقى أذناه إلا كل لفظ شريف مهذب، ولاينمو رصيده من المشاهدات والمدركات إلا بكل تصرف عادل ، وكل عمل مخلص مفيد — إذا نجحت المدرسة فى هذا فقد وفرت لتلاميذها مثلا طيبة تؤتى ثمارها فى اقتدائهم بها ، وتمثلهم لها . والقدوة تجعل الصور المتخيلة للقيم السامية ، والمبادئ المثلى معروضة فى صور واقعية . ومن هنا يبرز جمال المبدأ فى جمال المثال ، وهذه أجمل صور الإغراء ، والحمل على الاقتداء ، وانصراف المدرس عن المثل التى يدعو إليها يحطم هذه المثل ، ويعصف بها .

٥ — أن كل تلميذمهما تكن سنه، مزود بعاطفة دينية هى موضع اعتزازه وتقديسه ، وليس من الهين على التلميذ أن يتهم فى هذه العاطفة ؛ فقد يهون عليه أن يرمى بالكسل أو القصور، ولكنه يغضب ويثور إذا حاول أحد أن ينتقص من عاطفته الدينية ، أو أن يجعلها موضع الشك والارتياب .

والتسليم بهذا المبدأ يفيدنا كثيراً فى دروس التربية الدينية، فنحن نضمن النفاذ إلى قلوب التلاميذ واستثارة حماستهم لنوع من السلوك عن طريق هذه العاطفة الدينية ، نذكيها فى نفوسهم ،ولانضمن شيئاً من هذا النجاح إذا لجأنا إلى الصرامة والزجر والتهديد .

شكا إلىّ أحد المدرسين أن تلاميذ الصف الثالث الثانوى زاهدون فى التربية الدينية ، منصرفون عن درسها ؛ لأنهم لن يمتحنوا فى الدين ، فقلت له : يبدو أنك تدرس لهم الدين على أنه مادة كسائر المواد ، وأن الغاية منه إنما هى الحفظ والإلمام والتحصيل ؛ اترك هذا الأسلوب ، والجأ إلى إثارة العاطفة الدينية فى نفوس هؤلاء التلاميذ، وانظر — بعد ذلك — كيف يقبلون على الدرس ويشاركون فيه . ابدأ درسك التالى بهذه الجملة مثلا : أعداء الدين الإسلامى يتهمونه بكذا وكذا، ويقولون فيه كذا وكذا ،فتعالوا نناقش هذه التهمة ، قل هذه الجملة ، وراقب وقعها فى نفوسهم .

وأشهد أن هذا المدرس حينما جرب هذا الأسلوب ، وعالج الأمر على هذه الصورة ، اطمأن باله ، وانشرح صدره ؛ فقد رأى تغيراً وانقلاباً فى موقف التلاميذ من درسه ، ووجد فى كل منهم محامياً يذود عن دينه ، ويدفع عنه كيد أعدائه ،وتجلت عواطف التلاميذ فى تناولهم للموضوع تناولا يقوم على البحث والمناقشة فى حماسة ومشاركة .

وهذه تجربة أخرى مررت بها ، كنت أدرس الدين لأحد فصول الصف الثانى الثانوى ، ولم يكن الدين وقتئذ من مواد الامتحان. وقد عودت التلاميذ أن نقتطع فترة من

أول كل حصة ، نستمع فيها إلى ما حفظوه من النصوص القرآنية ، وكان بالفصل تلميذ لايميل إلى الحفظ ، ولايحاوله ، مع كثرة ما منحته من فرص للحفظ ، والاستعداد للحصص التالية ، ولما أعياني أمره قلت له : إنني أعفيك من حفظ النصوص القرآنية ، بل أعفيك من حضور حصة الدين إذا أحضرت لى خطاباً من والدك ، يطلب فيه أن نعفيك من هذه الحصة ، وأن نسمح لك فيها بأن تترك زملاءك المسلمين ، وتخرج إلى فناء المدرسة ، وهنا ثار التلميذ واحمر وجهه وتهدج صوته ، وأبى هذا العرض ، ووعد متحمساً مؤكداً أنه سيحفظ جميع ما درس من هذه النصوص ، فهدأت ثورته ، وحييت فيه هذه الحماسة ، وأذكيت تلك العاطفة ، وفى الحصة التالية أسمعنا ما حفظه ، وكان يزيد على أربعين سطراً ، وتابع بعد ذلك اهتمامه بالحفظ ودأب عليه .

٦ — أن الدين ليس مادة تدرس لتنمية المعلومات ، أو لكسب المهارات ، وهو يختلف عن المواد الدراسية فى أن كثيراً منها لايثير فى الطالب أية عاطفة ، ولايشعر الطالب إزاءه بما تنفعل به النفس ، ويتحرك له الوجدان ، وذلك كالرياضة والكيمياء والنحو والجغرافية . . وغيرها ، أما الدين فهو منوط بالنفس والعاطفة والوجدان ، وفوق هذا نرى أن أكثر المواد الدراسية ، تنتهى مهمة الدارس منها بانتهاء دراستها والامتحان فيها ، ثم لايكون لها بعد ذلك سلطان على حياته ، إلا فى نطاق ضئيل ، يختلف باختلاف صلتها بالمستقبل العملى للمتعلم ، أما الدين فإن ما فيه من ألوان المعارف والحقائق ، وما يرسمه من خطط محكمة رشيدة للعمل الإنسانى — يؤثر فى عاطفة الطالب وشعوره ، ويمتزج بوجدانه ؛ فينفعل ويشعر ، وإذا نجح المدرس فى إثارة عاطفة الطالب وشعوره ، فقد نجح فى أن يتجاوز به مرحلة التأثر والإحساس إلى مرحلة السلوك العملى القويم ، وهذا السلوك يلازم صاحبه على مدى الحياة : وهو الذى يحدد شخصيته الدينية ، وعلاقته بخالقه ، والمجتمع الذى يعيش فيه . فالدين روح وتأثر ، ولايقاس نجاح المدرس بمدى ما حفظ تلاميذه من النصوص والسير والأحكام ، ولكنه يقاس بمدى ما انطبع فى نفوسهم من العقائد الصحيحة ، وما انطبعوا عليه من الاستقامة والعمل الطيب ، والسلوك الحميد .

والمعارف الدينية تفقد قيمتها إذا لم تنعكس آثارها على حياة التلميذ وتصرفاته ، وتصبح سلوكاً عملياً محموداً ، يتجلى فى يقظة ضميره ، وسمو وجدانه ، وتشبثه بالفضائل ، وتساميه عن الرذائل ، ونهوضه بالواجبات الدينية فى حماسة وإيمان .

وقد رأينا كثيراً من التلاميذ يحرزون درجات كبيرة فى اختبارات الدين ؛ لأن المدرس يحملهم بوسائل كثيرة على الحفظ والإلمام ، ولكن هؤلاء التلاميذ موضع الشكوى من مدرسى المواد الأخرى ، ومن رائد الفصل ، ومن عميد الأسرة ، ومن مراقب الرحلة ، ومراقب الحفلة ، وغيرهم ، ممن يراقبونهم ، ويختبرون سلوكهم فى المواقف الحيوية الطبيعية .

فماذا أجدت تلك الدرجات العالية التى حصلوا عليها ؟ وماذا أثمرت دروس التربية الدينية فى هؤلاء التلاميذ إذا كان سلوكهم بصورة معيبة شائنة ، تثير الشكوى والامتعاض ؟

٧ — أن كثيراً من النفوس البشرية نافرة عنيدة ، ولعلها تأبى أن توجه إليها النصيحة سافرة مباشرة ، بل ربما يحملها العناد على أن تأتى ما تنهى عنه ، وأن تترك ما تؤمر به ، ونرى أمثلة من هذا العناد واضحة فى أطفالنا .

ولهذا كانت طريقة الوعظ والإرشاد والأمر والنهى طريقة عقيمة مخفقة فى حمل التلاميذ على التمسك بالفضائل وحميد العادات .

ولكن هذه النفس البشرية تلبى النداء إذا انبعث من داخلها ، وهتف به هاتف من فطنتها وإدراكها ، فكيف نبعث هذا النداء ؟ وكيف نثير هذا الهاتف ؟ إن ذلك ميسور عن طريق القصة .

فالقصة تهيئ لتلك النفس هذا الهاتف الداخلى ؛ إذ لاشك أن للقصة مغزى . وهذا المغزى يشرق فى ذهن التلميذ رويداً رويداً ، فيتأثر به ، وينقاد له ، ويحرص عليه ؛ لأنه وجده فى نفسه ، وأدركه بفطنته . لم يحمله عليه شخص أجنبى . ولم يتخذه هذا الأجنبى وسيلة لبسط السيطرة عليه .

وإذن فمن الواجب الاعتماد على القصة الهادفة فى دروس التربية الدينية ، ويزداد تأثر الطفل بمغزى القصة إذا مثلت أمامه .

وعلى هذا الأساس نستطيع أن نفهم لماذا تخفق الأحاديث الدينية والنصائح والمواعظ التى تنحدر من أفواه الخطباء فوق المنابر .

راقبْ جماعة المصلين وهم يستمعون إلى خطبة الجمعة . تجد كثيراً منهم منصرفين بأذهانهم عن الخطيب وعما يقرره من الأوامر والنواهى ، فإذا عرض فى خطبته إلى قصة يبدؤها مثلا بقوله : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، رأيت هذه الجماعة قد

أرهفت آذانها للخطيب تتابع القصة ، وتتدبر مغزاها .

٨ — المواسم والمناسبات الدينية فرصة طيبة لتربية الوجدان الدينى وإثارة مشاعر التلاميذ ، ويحسن انتهازها لتدريس الموضوعات المنهجية المتصلة بها، فيدرس الصوم مثلا فى شهر رمضان ، ويدرس الحج فى موسم الاستعداد له ، ويقص حديث الهجرة فى أوائل العام الهجرى ، وهكذا .

٩ — كثير من الموضوعات الدينية فى منهج العقائد والعبادات والتهذيب والسير ونحوها ، تعززه نصوص دينية من القرآن الكريم والحديث الشريف ، فينبغى علاج هذه الموضوعات فى ظلال النصوص الدينية التى تتصل بها . وأن يراعى هذا الربط فى توزيع موضوعات المنهج على أشهر السنة الدراسية بحيث يدرس الموضوع متكاملا فى فترة متصلة .

وفيما يلى أمثلة من الأخطاء التى وقع فيها بعض المدارس من هذه الناحية :

(ا) فى المرحلة الإعدادية درست فى الشهر الأول من العام الدراسى آيات الأحزاب : « يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم » ، ودرست غزوة الخندق فى شهر مارس ، وكان ينبغى أن يتخذ من الحديث عن غزوة الخندق فرش وتمهيد لدراسة الآيات السابقة.

(ب) وفى الصف الثانى الثانوى درست الموضوعات التى تدور حول الأسرة وحقوق الزوجين وواجباتهما دراسة منفصلة ، فدرست الآيات : «الرجال قوامون على النساء » . فى شهر ، ودرس الحديث : ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً من زوجة صالحة ، فى شهر آخر ، ودرس موضوع الأسرة فى شهر ثالث ، وكان ينبغى الربط بين هذه الألوان جميعها بدراستها دراسة متصلة .

١٠ — بعض التلاميذ والتلميذات يعانون مشكلات فى حياتهم وتعتريهم أزمات نفسية تثير فيهم الحيرة والقلق ، وربما تعرضوا لهزات عصبية ، وعواقب خطيرة إذا لم يسعفهم العلاج الذى يسكن ثائرتهم ، ويشفى قلوبهم ، ويردهم إلى الاستقرار والاطمئنان النفسى ، وفى استطاعة مدرس الدين أن يقدم هذا العلاج ، وأن يشجع تلاميذه على أن يفضوا إليه بما يؤرقهم ، ويشغل بالهم ، علناً أمام إخوانهم ، أو سراً بينهم وبينه ، وعليه فى هذه الحالة أن يكون لهم أباً حانياً ، ورائداً حازماً ، وأن يتخذ من تعاليم الدين شفاء لصدورهم المحرجة .

وفى هذه الفرص يستطيع المدرس أن يحقق كثيراً من أهداف التربية الدينية .

ولإتاحة هذه الفرص بصورة ميسرة بريئة من التحرج يمكن إعداد صندوق يعلق فى فناء المدرسة ، يسمى صندوق المشكلات ، أو الاستشارات ، أو الاستفسارات ، أو غير ذلك من الأسماء ، يضع فيه الطلاب أوراقاً فيها أسئلتهم ومشكلاتهم ، على أن يوكل إلى مدرسى التربية الدينية — بطريق التناوب — الإشراف على هذا الصندوق ، وإجابة الطلاب عن أسئلتهم إما فى حصة الدين ، وإما فى ندوات عامة — وإما فى الإذاعة المدرسية ، وإما فى أوقات أخرى إذا كان الموضوع لايحتمل العلانية . وفى هذه الطريقة توسيع الثقافة الدينية ، وعدم الجمود على المناهج والكتب .

الغاية منه :

١ — بث العقائد الصحيحة فى نفوس التلاميذ ، وتطهير قلوبهم من الأوهام الشائعة ، والبدع الباطلة .

٢ — تعريفهم بالأحكام الشرعية التى تصحح عباداتهم ومعاملاتهم .

٣ — غرس الفضائل والأخلاق الحميدة والعادات الصالحة فى نفوسهم .

٤ — اقتداؤهم بالشخصيات الإسلامية التى كانت مثلا عالياً فى حميد الصفات .

وسائل تحقيق هذه الغاية :

١ — الإيمان بأن الدين لاتنحصر رسالته فى حفظ النصوص الدينية ، أو دراسة الفضائل من الناحية النفسية ، ولكن الدين روح وتأثر ؛ ولذا يجب أن تستهدف دراسته إشاعة الروح الدينية فى نفوس التلاميذ ، حتى يتأثروا بها ، وينبعثوا عنها فى كل ما يأخذون أو يدعون من أمور الدنيا .

٢ — ربط الدراسات الدينية بالحياة ؛ وتفسير مشكلات الحياة وأحداثها على ضوء الدين .

٣ — تخصيص بعض الفترات للدراسة الدينية الحرة ، فيعرض التلاميذ مشكلاتهم الدينية . ويصارحون مدرسيهم بما يقلق نفوسهم من الأزمات النفسية ؛ ليشاركوهم فى تفسيرها وحلها .

٤ — العناية بالشعائر الدينية ، وأخذ التلاميذ بها عن طريق القدوة والإغراء والإشادة .

٥ ــ مراقبة سلوك التلاميذ فى كل معرض يظهرون فيه ، وتذكيرهم دائماً بالأنماط الحميدة ، وأخذهم بها ، وردهم إليها فى كل مناسبة عارضة ، كالرحلات والحفلات والمباريات ونحو ذلك .

فروع التعليم الدينى :

فروع التعليم الدينى فى المناهج المدرسية هى :

القرآن الكريم ــ الحديث الشريف ــ العقائد ــ العبادات ــ السير ــ التهذيب ــ البحوث الإسلامية .

obeikandl.com

طريقة التدريس

أولا : فى المدارس الابتدائية

القرآن الكريم :

تختلف طريقة التدريس فى الحلقة الأولى من المدارس الابتدائية عن طريقته فى الحلقتين الثانية والثالثة :

(١) فالطفل فى الحلقة الأولى لا يزال فى مرحلة تعلم القراءة ؛ وهو لذلك لايستطيع قراءة القرآن معتمداً على المصحف ، أو الكتاب أو السبورة ، ومن ناحية أخرى ، منهج القرآن الكريم فى هذه الحلقة هو سور قصيرة ، كل منها كأنه نشيد سماوى ؛ ولهذا يسلك المدرس فى تدريس القرآن الكريم لهذه الحلقة الخطوات التى تتبع فى دراسة الأناشيد لها :

١ — فيمهد المدرس للسورة بحديث سهل فى موضوعها ، وله أن يلجأ إلى المناقشة والأسئلة فيما يستطيعه الأطفال مما يمس موضوع السورة .

٢ — يقرأ المدرس وحده السورة قراءة خاشعة متأنية ، والأطفال منصتون إليه ، ويكرر هذه القراءة مرتين أو أكثر .

٣ — يخبر الأطفال أنه سيعيد قراءة السورة جزءاً جزءاً على أن يعيدوا بعده كل جزء يقرؤه ، ثم يقرأ السورة مجزأة ، ويراقب الأطفال وهم يقرءون بعده كل جزء يقرؤه ، ويرهف سمعه لنطقهم ، ويرشدهم إلى الصواب إذا أخطئوا .

٤ — ينوع هذه الطريقة الجمعية بأن يطالب مجموعة من الأطفال بأن يعيدوا ما قرأه ثم يطالب مجموعة أخرى . . . وهكذا .

٥ — ينتقل إلى تدريب الأطفال على القراءة الفردية ، فيطلب إلى أحد الأطفال أن يقرأ بعده ، ثم يطلب ذلك من طفل آخر وهكذا .

ويغلب أن يتمكن أكثر الأطفال من حفظ السورة بعد هذه القراءات المتتابعة ، وحينئذ يطلب المدرس إلى أحد الحافظين أن يقرأ مستقلاً ، وبإثارة المنافسة بين الأطفال يمكن ألا تمضى الحصة إلا وقد حفظ أكثر الأطفال .

٦ — يناقش المدرس الأطفال فى معنى السورة بأسئلة سهلة يسيرة ، وإذا كان النص

القرآنى طويلا يقسمه وحدات ، ويعالج كل وحدة بالشرح على حدة .

٧ – قبل البدء فى درس جديد من دروس القرآن يختبر بعضهم فيما حفظوه قبل ذلك ، للمراجعة والتثبت .

ملاحظة :

للمدرس فى الصف الثانى أن يعرض السورة على سبورة إضافية فى النصف الأخير من العام الدراسى إذا أنس فى الأطفال قدرة على قراءة ما يكتب على السبورة .

(ب) وفى الحلقتين الثانية والثالثة : أى الصفوف الثالث والرابع والخامس والسادس تختلف الطريقة بعض الشىء :

١ – فيمهد المدرس للسورة بالطريقة السابقة .

٢ – يعرض السورة على التلاميذ إما بإرشادهم إلى موضعها من الكتاب ، وإما بعرضها على سبورة إضافية .

٣ – يقرأ المدرس السورة أو المقدار المحدد للحصة قراءة خاشعة متأنية .

٤ – يطلب إلى بعض التلاميذ قراءتها ، على أن يقرأ كل تلميذ جزءاً محدداً ، ثم يليه غيره مع تكرار هذه القراءة ، وتصحيح الأخطاء فور وقوعها .

٥ – مطالبة التلاميذ بأن يقرءوا قراءة جماعية مع تنظيم القراءة بدءاً ووقفاً . وللمدرس أن ينوع هذه الطريقة الجماعية فتكون من كل التلاميذ ، ثم من بعض الصفوف بطريقة التناوب .

٦ – يعود بهم المدرس إلى القراءة الفردية .

٧ – شرح السورة شرحاً ميسراً بطريق الأسئلة والمناقشة وعدم الوقوف طويلا عند اللغويات ، بل يمكن الاكتفاء بفهم أكثرها من السياق .

٨ – للمدرس أن يختبر النابهين من التلاميذ فيما حفظوه من السورة .

الحديث الشريف :

دراسة الأحاديث النبوية فى المرحلة الابتدائية مقصورة فى المنهج الأخير على الصفين الخامس والسادس .

ويتبع فى دراستها الطريقة التى شرحناها لتدريس القرآن الكريم فى هذين الصفين .

العقائد :

تدور موضوعات المنهج حول صفات الله تعالى والإيمان به ، وما يجب له من المحبة والخشية والطاعة ، والإيمان برسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر ، والطريقة الناجحة فى تثبيت هذه العقائد فى نفوس هؤلاء التلاميذ هى التى تعتمد على الإثارة الوجدانية ، وعلى شرح تصويرى سهل لبعض الآيات القرآنية التى تتصل بهذه العقائد ، ونفوس التلاميذ فى هذه المرحلة مهيأة لتقبل هذه المعتقدات فى سهولة ويسر ؛ لأنهم سريعو التأثر والانفعال ، ونجاح المدرس فى دراسة هذه العقائد يرتبط بمدى تأثيره فى نفوس التلاميذ ، ومدى نجاحه فى النفاذ إلى قلوبهم وعواطفهم ، وطريقة البحوث العقلية . والبراهين المنطقية التى تصطنع فى هذه الموضوعات لا تسيغها عقول هؤلاء التلاميذ ، وربما أفسدت عليهم ما يحسونه من متعة روحية وجدانية .

العبادات :

تدور مناهج العبادات فى المرحلة الابتدائية حول الوضوء والصلاة بأنواعها المختلفة والصوم والزكاة والحج .

أما الوضوء والصلاة :

فالطريقة الناجحة فى تعليمهما إنما هى الطريقة العملية ، وذلك بأن يصحب المدرس التلاميذ إلى مصلى المدرسة ، ويدربهم على الوضوء . بأن يتوضأ أمامهم ، ويطلب من بعض التلاميذ أن يحاكوه بطريق التناوب على أن يقف الباقون يراقبون هذه العملية .

وللمدرس أن يتخذ من بعض التلاميذ الذين يعلم أنهم يحسنون الوضوء قدوة لإخوانهم ، على أن يناقش الباقين مناقشة تكشف عن الخطأ والصواب فى أعمال الوضوء ، وينبغى ألا تشغل الحصة كلها فى التدريب على الوضوء . بل يجب أن تشتمل كل حصة على التدريب على الوضوء والصلاة معاً ؛ حتى يفهم التلاميذ أن الوضوء وسيلة للصلاة ، وليس عملا مستقلاً .

وللمدرس قبل ذهابه بالتلاميذ إلى المصلى أن يشرح لهم فى الفصل طريقة الصلاة

قبل أن يؤدوها عمليًّا فى المصلى ، وله أن يستعين فى هذا الشرح ببعض التلاميذ الذين يحسنون أداء الصلاة ، على أن يوجه الباقين إلى مراقبة ما يعملون ، وهكذا حتى يطمئن إلى معرفة التلاميذ كيفية الصلاة التى سيمارسونها عمليًّا فى المصلى ، وتعد المدرسة مقصرة أشد التقصير إذا مرت بالطفل السنتان الأوليان وهو لا يعرف الوضوء والصلاة ، أما موضوعات الصوم والزكاة والحج فتعالج بطريق الشرح والمناقشة ، وبخاصة ما يتعلق بحكمتها وأسرارها وآدابها.

السير :

المراد بها سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسيرة الأئمة الهداة الذين يجد التلاميذ فى سيرتهم مثلا عليا . وتتبع الطريقة الآتية فى تدريس هذه السير .

(ا) التمهيد بالأسئلة والحديث على نمط التمهيد لموضوعات القراءة مثلا .

(ب) إلقاء السيرة على صورة قصة ، مع مراعاة ما يأتى :

١ — أن تلقى القصة على مراحل ، تتناول كل مرحلة جزءاً مستقلاً من السيرة .

٢ — كتابة عنوان المرحلة على السبورة قبل إلقائها أو بعده فى غير الحلقة الأولى .

٣ — كتابة الأعلام الهامة التى ترد فى ذكر القصة على الجانب الأيسر من السبورة فى غير الحلقة الأولى .

٤ — توجيه أسئلة إلى التلاميذ فى المرحلة التى تم إلقاؤها .

٥ — الربط بين القصة والحياة الحاضرة .

(ح) عقب الفراغ من إلقاء القصة توجه إلى التلاميذ أسئلة عامة تختبر مدى تأثرهم بالمواقف المختلفة .

(د) اشتراك التلاميذ فى استنباط مواطن العظة والعبرة من القصة وتدوين ذلك موجزاً على السبورة ، وذلك فى الفرق العالية .

ويجب أن نلاحظ فى تدريس السير ما يأتى :

١ — أن نقتصر من حياة الشخصيات على الجوانب التى تمثل النواحى الدينية والخلقية والروحية ، وألا نطمس هذه الجوانب بما نقحمه عليها من النواحى التاريخية ، بل ندع ذلك لموضعه من الحصص الأخرى .

فمثلا : شخصية عمر بن الخطاب صالحة لدرس فى الدين ، وفى الأدب ، وفى

التاريخ ، فى درس الدين نقصر كلامنا على امتازت به هذه الشخصية من الورع والتقوى والعدل والزهد ، فإذا تناولنا بعض الجوانب التاريخية أو الأدبية ، فإنما نتناولها لتعزيز ما نعرضه من النواحى الروحية ، وندع لمدرس الأدب أن يتحدث عن خطب عمر ، كما ندع لمدرس التاريخ أن يتحدث عن عمر فى سياسته وفضله على الدولة الإسلامية .

٢ — حينما نتحدث عن صفات صاحب السيرة ، لانسرد تلك الصفات سرداً ، ولا نلقيها إلقاء . بل نجعل ذلك استنباطاً يشترك فيه التلاميذ بقيادة المعلم وإرشاده ، وسبيل ذلك أن يعرض المدرس على التلاميذ بعض القصص من حياة هذه الشخصية يستنبط منها الصفات المطلوبة ، فمثلا : لايقول المعلم : وكان عمر بن الخطاب عادلا ، بل يذكر من قصص عدالته شيئاً ، ويدع التلاميذ يصفون عمر بالعدالة . . . وهكذا .

التهذيب :

موضوعه الفضائل وحميد العادات ، وأثرها فى تهذيب النفس والخلق ، وتتبع فى تدريسه الطريقة الآتية :

١ — التمهيد على نحو ما سبق فى التمهيد للموضوعات العامة .

٢ — إلقاء قصص قصيرة تهدف إلى الموضوع ، وعرض النصوص الدينية المتصلة به .

٣ — أسئلة فى كل قصة عقب الانتهاء منها ، مع العناية بالمغزى .

٤ — قصص من التلاميذ تتخلل قصص المدرس ومناقشتها بالأسئلة .

٥ — تمثيل بعض القصص التى ألقيت .

أساس هذه الطريقة :

رأينا أن الطريقة التى تتبع فى درس التهذيب تقوم أولا وأخيراً على القصة ، وقد شرحنا علة ذلك فى البند (٧) من أسس التعليم الدينى .

مثال من القصص التهذيبى :

كان سامى يكتب بقلم الحبر ، فسال الحبر على يده ، ووسخ أصابعه ؛ فلما رأته أمه ، طلبت إليه أن يغسل يده قبل ذهابه إلى المدرسة ، ولكنه لم يسمع لقولها ، واكتفى بأن مسح أصابعه بالمنديل ، فتلوث المنديل بالحبر .

وذهب إلى المدرسة وكان الجو حارًّا ، فأخرج المنديل يمسح به العرق ، الذى سال على وجهه ، ثم رأى التلاميذ يلتفتون إليه ، ويضحكون عليه ، ويتغامزون به ، وهو لايفهم لذلك سبباً ، فليس من عادتهم أن يتبعوا ذلك معه ، ولما زادت سخريتهم به ، تجرأ وسأل أحدهم فأجابه بأن وجهه ملوث بالحبر وشكله مضحك ، فأدرك سامى السبب ، وفطن إلى أن هذا من المنديل الملوث ، الذى لوثته أصابعه بالحبر ، الذى سال عليها من القلم ، وكان علاج ذلك كله ميسوراً ، وهو أنه يطيع أمه ويغسل يده .

فى هذه القصة الساذجة تعليم للأطفال ،وحمل لهم على الطاعة ،وعلى اتباع عادة النظافة ، ونعتقد أن هذه القصة — على قصرها — تنجح فى غرس هذه العادة أكثر مما تنجح النصائح والمواعظ المباشرة .

مصادر هذه القصص :

تختار هذه القصص من عدة مصادر أهمها :

١ — التاريخ ، ففى سير الأبطال عشرات من هذه القصص التهذيبية .

٢ — الواقع ، ففى الحياة الواقعية مثل كثيرة تعالج على ضوئها الموضوعات التهذيبية .

٣ — الخيال ، يستطيع المدرس أن يتخيل أمثلة تهذيبية يعرضها فى صورة قصص .

ما يراعى فى هذه القصص :

١ — يجب أن تكون القصص قصيرة ؛ ليتسع الوقت للمزيد منها .

٢ — يجب أن يكون مغزاها واضحاً يفهم فى سهولة .

٣ — لامانع من أن تكون بعض القصص حول الرذيلة ، عكس الفضيلة ، التى هى موضوع الدرس .

الفرق بين قصة التعبير وقصة التهذيب :

رأينا أن القصة مادة طيبة طريفة لكثير من دروس اللغة العربية والدين ؛ فهى مادة للقراءة والتعبير والقواعد والإملاء ، وهى مادة فى السير والتهذيب أيضاً .

وهذه بعض الفروق بين قصة التعبير وقصة التهذيب :

١ — قصة التعبير طويلة نوعاً ، وقصة التهذيب قصيرة .

٢ – قصة التعبير تقبل الخيال والمبالغة ، وقصة التهذيب لاتقبل ذلك .

٣ – قصة التعبير يلقيها المدرس ، وقصة التهذيب يلقيها المدرس أو التلميذ .

٤ – فى قصة التعبير عناية بتنويع التعبير ، أما قصة التهذيب فلإبراز المغزى .

٥ – قصة التعبير تشغل الحصة ، ولكن قصة التهذيب لاتكفى وحدها ، بل لابد من غيرها .

ثانياً : فى المدارس الإعدادية

القرآن الكريم :

منهج القرآن الكريم فى المدرسة الإعدادية نوعان :

نوع للتلاوة ، ونوع للتفسير والحفظ .

(ا) ففى آيات التلاوة :

١ – يقدم المدرس لهذه الآيات بشرح مجمل ، يتناول فيه أهم أهدافها ، بحيث يترك هذا الشرح فى أذهان التلاميذ صورة إجمالية لمعنى الآيات .

٢ – يقرأ المدرس هذه الآيات قراءة نموذجية جديرة بالاقتداء .

٣ – يكلف التلاميذ واحداً بعد آخر القراءة مع التزام صحة التلاوة ،وجودة الأداء ، وتمثيل المعنى ، والخشوع . وينبغى توزيع القراءة على التلاميذ ، فيتاح لكل منهم نصيب من هذه القراءة فى كل حصتين مثلا .

٤ – إذا كان القدر المحدد للحصة طويلا ، يقسمه المدرس وحدات ، ويتلو التلاميذ كل وحدة بعد استماعهم إلى نموذج من المدرس .

(ب) وفى آيات التفسير والحديث :

يسلك المدرس الطريقة المتبعة فى تدريس المحفوظات النثرية .

١ – فيمهد لموضوع الآيات بذكر سبب نزولها إذا كان لذلك قصة ، أو بحديث أو أسئلة تهيئ أذهان التلاميذ لموضوعها

٢ – عرض الآيات إما فى الكتاب وإما على سبورة إضافية .

٣ ــ قراءة المدرس الآيات قراءة نموذجية .

٤ ــ قراءات بعض التلاميذ واحداً بعد آخر حتى يحسنوا القراءة ، مع العناية بتصحيح الأخطاء فور وقوعها .

٥ ــ أسئلة عامة فى الآيات مع الاقتصار على المعانى الواضحة .

٦ ــ شرح الآيات ويراعى فيه :

(ا) تقسيم الآيات وحدات .

(ب) الشرح اللغوى .

(حـ) مناقشة المعنى العام بأسئلة ، مع تطبيق معنى الآيات على المواقف الحيوية .

٧ ــ قراءات أخرى من التلاميذ حتى يجيدوا القراءة .

٨ ــ استنباط ما يفيد استنباطه من الآيات ، وتسجيله على السبورة موجزاً ، على أن يكون هذا الاستنباط من التلاميذ أنفسهم ، بالأسئلة والتوجيه .

٩ ــ أسئلة عامة فى معنى الآيات .

١٠ ــ يكلف التلاميذ الحفظ فى غير حصة القرآن .

الحديث الشريف :

يعالج بالطريقة التى تتبع فى تدريس الآيات القرآنية المختارة للتفسير والحفظ .

العقائد :

تدور مناهج العقائد فى المدرسة الإعدادية حول موضوعات جديدة تتصل بمزايا الإسلام ، بالإضافة إلى ما سبقت دراسته فى المدرسة الابتدائية ، وإذا كنا قد اعتمدنا على الإثارة الوجدانية فى التدريس لتلاميذ المرحلة الابتدائية ؛ فإننا لن نتخلى فى المرحلة الإعدادية عن هذه الإثارة ، ولنا ــ كذلك ــ أن نستعين بالنص الدينى الذى يساعد على تثبيت هذه العقائد ، ونستطيع فى هذه المرحلة أن نربط بين الفهم العقلى والنص الدينى ، وأن نحيل التلاميذ على بعض المواقف الحيوية ؛ ليدركوا أسرار الدين الإسلامى وفضله فى تنظيم الحياة وإسعاد البشر .

العبادات :

يتبع فى تدريسها ما اتبع فى المدرسة الابتدائية مع معالجة التفصيلات الجديدة ، ومع الاختلاف إلى المصلى كلما دعت الحاجة .

السير والقصص :

يتبع فى دراستها ما اتبع فى المدرسة الابتدائية ، مع التوسع فى الأفكار ، ونواحى الاستنباط ، وأوجه الربط بالحياة ، وتمثيل الشخصية المدروسة تمثيلا دقيقاً يكشف عن مزاياها ، ويغرى بالاقتداء بها .

التهذيب :

تسير دراسته على الطريقة القصصية التى أشرنا بها فى موضوعات التهذيب للمدرسة الابتدائية ، مع العناية بمغزى القصص وتدريب التلاميذ على إخضاع ما يرون فى المجتمع للنقد والحكم ، وتوجيههم كذلك إلى ما يمس موضوع الدرس من تصرفاتهم الخاصة فى المجالات المتعددة التى يظهرون فيها .

ثالثاً : فى المدارس الثانوية

القرآن الكريم :

يتبع فى التدريس ما اتبع فى المدرسة الإعدادية فى آيات التلاوة وآيات التفسير والحفظ . ونوصى هنا بأن يكون المصحف الشريف هو مرجع التلاميذ فى جميع حصص القرآن .

فمن واجبنا أن نوثق الصلة بين التلميذ المسلم وكتاب المسلمين ، ومن ناحية أخرى ، للمصحف الشريف معالم خاصة به ، وله فى النفس انطباعات روحية سامية ، ومن أجل هذا كان من الضرورى صرف المصحف لطلاب هذه المرحلة ، وتدريبهم على قراءة القرآن بهذا الخط العثمانى ، فلعلهم فى مستقبل حياتهم يعودون إلى المصحف للاستمتاع بقراءته ، ولإشباع عاطفتهم الدينية ، فلا يلقون صعوبة فى قراءته .

الحديث الشريف :

ويتبع فى درسه ما اتبع فى المدرسة الإعدادية ، مع التوسع فى الشرح والتطبيق على مشكلات الحياة وأحداثها .

البحوث الإسلامية :

هى طائفة من المعارف الدينية تساعد الطلاب على تثبيت العقيدة وعلى مقاومة التيارات الإلحادية ، ومغريات الخروج على القيم الروحية ، وعلى المزيد من فهم أسس المجتمع ، والعلاقات بين الناس ، وعلى تعرف العالم الإسلامى ، وما بين أبنائه من صلات .

وليس معنى هذا أن تكون طريقتنا فى معالجة هذه البحوث طريقة السرد والإلقاء ، أو أن تكون غايتنا من الدرس مساعدة التلميذ على التحصيل والإلمام ؛ بل يجب أن تتمثل فى طريقة التدريس المبادئ الآتية :

١ ــ أن المعارف الدينية لا قيمة لها فى ذاتها ، وإنما ترجى ثمرتها إذا ترجمت إلى سلوك عملى يظهر أثره فى حياة مستقيمة رشيدة .

٢ ــ أن تلاميذ هذه المرحلة ، لا يكتفون من هذه المعارف الدينية بالتصور والفهم المجرد ، بل يطالبون تفسيراً عقلياً ، وتعليلا صحيحاً للأسس التى يبنون عليها معرفتهم .

٣ ــ أن عرض هذه الموضوعات مشفوعاً بالأسس التى تقوم عليها ، والمنطق الذى يعززها ، والقيم التى ترجى من دراستها ــ كل ذلك يؤدى إلى أن يطمئن التلاميذ اطمئناناً عقلياً للتعاليم الإسلامية .

٤ ــ أن هذه المعارف تنجح فى تكوين العاطفة الدينية ، إذا أقنعت العقل . وأثارت الوجدان ، وعن طريق هذه العاطفة يسهل توجيه التلميذ إلى الخلق القويم ، والسلوك المستقيم .

٥ ــ أن التلاميذ فى هذه السن يجتازون مرحلة من أدق مراحل العمر . تتجاذبهم ألوان من مغريات الحياة براقة باهرة ، وتبث حولهم تيارات فكرية خادعة ، واتجاهات مذهبية فاسدة مموهة ؛ وهم لذلك فى أشد الحاجة إلى تحصينهم وتقوية الوعى الدينى فى نفوسهم ، وإلى مزيد من الفهم المستنير . والتحليل الدقيق ؛ حتى يتكون فيهم الوازع الدينى ، ويربى الضمير الحى ، فيبسط سلطانه عليهم فيما يعتقدون ، وفيما يأتون أو يدعون .

التعليم الدينى المدرسى فى الميزان

لانريد فى شرح مفهوم هذا العنوان أن نعيد القول فى رسم الغايات السامية التى يهتم التعليم الدينى بتحقيقها ، ولا أن نصوّر الأهداف القريبة والبعيدة لما يبذل من جهد ومن إخلاص فى التعليم الدينى بالمدارس ، لسنا فى حاجة إلى هذا التصوير ؛ لأن تلك الأهداف قد شخصت معالمها ، ووضح السبيل إليها ، فيما أسلفنا من القول عن وظيفة الدين فى حياة الفرد وحياة المجموع ، وفى تحديد الغاية من التعليم الدينى ، وفى غير ذلك من الموضوعات .

ولكننا نقصد من وراء هذا العنوان أن نعرض النتائج التى حصلناها من التعليم الدينى بالمدارس ، وأن نرسم المستوى الذى وصلنا إليه فى الآفاق الأساسية لهذا التعليم ، وأن نقوّم فى أبنائنا الطلاب بالمراحل التعليمية المختلفة مدى ما انطبعوا عليه ، وأخذوا به من المبادئ القويمة ، والمثل الدينية الرفيعة ، ومدى ما تأثر به سلوكهم الحيوى من التعاليم الدينية ، التى حفلت بها المناهج ، وقامت عليها جهود المعلمين .

ولعل أقرب الطرق إلى ما نقصد إليه أن نلقى هذا السؤال الذى يلحّ علينا فى كثير من المناسبات : هل نجح التعليم الدينى فى تحقيق رسالته ؟ وما مدى نجاحه ؟ وماذا قام فى سبيله من العقبات ؟ وما أثر هذه العقبات فى تعويق سيره ، دون الوصول إلى الهدف المنشود ؟

وإنصافاً للحقيقة ، وإيثاراً للصدق والصراحة ، نقرر أن هذا التعليم لم يحقق كل الآمال المعلقة عليه فى أداء الرسالة السامية المنوطة به ، ولسنا فى هذا الحكم متجنين ولا متحاملين . كما أننا لانريد أن نغضّ من شأن الجهود التى تبذل فى هذا التعليم ، من حيث المناهج والكتب وغير ذلك من مقومات الدراسة الدينية .

ولعل أملنا الواسع ، ورغبتنا الصادقة فى أن ينجح هذا التعليم النجاح المطلوب ، ويؤدى رسالته فى تنشئة أبنائنا تنشئة روحية خلقية ، تعصمهم من الزلل والانحراف — لعل ذلك هو الذى يدفعنا إلى أن نقرر أن النتائج التى أثمرها التعليم الدينى أقل مما ينبغى ، وما زلنا نطمع فى المزيد من آثاره ، واجتناء ثماره .

ومن جهة أخرى لايسعنا أن نغضّ البصر عن طائفة من الملاحظات التى تشين سلوك

الطلاب ، وتقوم دليلا على انسياقهم مع الميول الجامحة ، والنزوات الحمقاء ، وتحررهم المطلق من قيود التكاليف الدينية ، والمبادئ الخلقية :

(ا) فى المدرسة :

نرى كثيراً من الطلاب لايتحرجون من إتلاف المنشآت ، والعبث بالأثاث ، ومنهم من تمتد يده فى خلسة وخسة ودناءة إلى كتب غيره وأدواته فيسرقها ، ومنهم من تبلغ به القحة حداً مزرياً فيتعدى على المدرسين بالقول أو الفعل ؛ وعلى حيطان المدرسة ، وبخاصة فى دورات المياه نرى كتابات بذيئة ، ورسوماً فاضحة ، تدل دلالة قاطعة على أن الأيدى التى خطتها قد تحركت عن نفوس آثمة لم يزجرها ضمير حى ، وطباع فاسدة لم يردعها وازع دينى ، وفى الأعمال المدرسية نرى استهانة بالواجب ، وميلا إلى الفرار من المدرسة بطرق غير مشروعة ، وعبثاً بمواعيد الدراسة ، وفوضى فى التجمع والتحرك ، وجرأة على التزوير فى توقيعات أولياء الأمور ، وجنوحاً إلى التهرب من المسئولية ، واعتداء على حرية الغير فى البحث والسؤال ، واجتراء على الغش فى الامتحانات ، إلى غير ذلك ، وهو — مع الأسف — كثير .

(ب) وفى البيت :

نرى الأثرة والكذب والتدليس ، والميل إلى الإزعاج والإقلاق ، كما نرى الفوضى فيما يتصل بالمأكل والملبس والنوم ، ونرى استباحة حرية الجيران وحرمتهم برفع صوت المذياع ، واختلاس النظر الأثيم إليهم ، هذا إلى العبث بالمبانى والمصاعد ، وتشويه الجدران بالعبارات البذيئة يعرّضون فيها بالغير ، وإن منهم من يرفع صوته فى وجه والديه ، ويأتى بحركات تتحدى سلطان الآباء ، وتعصف بتقاليد الأسر المهذبة المهيبة .

(حـ) وفى المركبات العامة :

يهولك ما ترى من العبث بالنظام المطلوب فى الصعود والنزول ، واستخدام القوة الجسمية وقت الزحام ، وامتهان شعور الركاب بالأصوات المرتفعة ، والكلمات الجارحة ، والتجرد من الذوق والمجاملة حيال الشيوخ الكبار أو المرضى أو السيدات ، ويتجرأ بعضهم فيغالط

العامل بتقديم اشتراك مزيف ، أو قديم العهد ، ويثيرها مشاجرة عنيفة ، لاتسفر إلا عن اتهام المدارس بالإهمال والتقصير فى تهذيب هؤلاء المردة الشياطين .

(د) وفى الطرق العامة :

ترى بعض الطلاب يمشون فى تخنث ومجانة وتهافت ، ويثير امتعاضك ألا ترى فيهم غير الفاتر المائع ، والرخو الخليع ، ويؤذى سمعك تبادل عبارات السباب والشتائم بينهم على مسمع من المارّة ، ويقذى عينك رؤية بعضهم يبصق على الأرض ، أو يلقى عليها القاذورات ، أو يوجه النظرات المريبة إلى السيدات ، أما الحدائق والمتنزهات العامة فيا ويلها من هؤلاء العابثين ، يقطفون الأزهار ، ويتلفون الخضرة ، ويشوهون كل ما تقيمه الدولة من معالم الجمال ؛ إمتاعاً للنفس ، ورفعاً لمستوى الذوق العام .

(هـ) وفى مواطن التجمع :

تسمع صفيراً مزعجاً ، وترى شغباً ممقوتاً ، وتعصباً ذميماً ، ومشية خليعة يبرأ منها خلق الشباب .

ورب قائل يقول : أليس من الإسراف أن نلقى التبعة فى جميع هذه الظواهر البغيضة من سلوك الطلاب على التعليم الدينى بالمدارس ونتهمه بالعجز والقصور ، ونتجاهل المؤثرات الأخرى ؟

ونحن نقول : إن المناهج الدينية ، بما حفلت به من موضوعات التهذيب ، وأمهات الفضائل ، ومن سير الأئمة الصالحين ، الذين تفيض حياتهم بالمثل الرشيدة ، والقيم الرفيعة ، ومن مبادئ العقيدة النقية الصافية ، ومن النصوص الدينية الهادية — كل ذلك كفيل بتهذيب النفس ، وتقويم السلوك ، ومحاربة هذه النزوات أو القضاء على أكثرها ، لو أننا اتجهنا فى التعليم الدينى اتجاهاً جديداً سديداً .

وقبل أن نرسم هذا الاتجاه يجمل بنا أن نوضح الأسباب التى عاقت التعليم الدينى بالمدارس عن إدراك الغايات المنشودة فى تنشئة الطلاب تنشئة مهذبة ، يسودها الخلق الحميد ، والسلوك القويم .

قليل من البحث والنظر يضع أمامنا حقيقة بارزة ، هى أن من هذه الأسباب ما ينوئ

التربية الدينية ، ويشنّ عليها حرباً خارج المدرسة ، ومنها ما هو آفة للتعليم الدينى فى المدرسة نفسها :

(ا) فى خارج المدرسة :

١ — نعلم أن كثيراً من الأسر لاتحفل بالمبادئ الدينية ، ولا تقيم لها وزناً ، فلا تقيم الشعائر الواجبة ، ولا تلتزم بالسلوك القويم ، وربما سادها الشقاق والنزاع ، وغلب على أفرادها الأثرة والجشع ، والتحرر من تبعات الواجب ، وهذا المظهر السيىء ستنعكس حتماً آثاره على الأبناء الذين يشبون فى هذا الوسط الوضيع ، وهذه البيئة الاجتماعية الفاسدة ، فكيف يتأتّى للتعليم الدينى بالمدرسة أن يصلح من شأن هؤلاء الأبناء ، ويقاوم هذه المعاول الهدامة ، التى تلاحق هذه الأجيال الناشئة ، وتراوحهم وتغاديهم فى معظم أوقاتهم ، وهى فى نظرهم موجهة من أصحاب السلطان عليهم ، ومصدر القدوة لهم .

٢ — وتلاميذنا يعيشون فى مجتمع رحب الجنبات ، حافل بألوان الإثارة والإغراء ، يسوده غالباً عرف فاسد ، يستمد أصوله وقواعده من الأفكار السقيمة ، يبثها المضللون المنحرفون ، أو الافتتان بما يدعيه المغرضون من زخارف المدنية وبهرج التجديد ، أو الاقتداء الأعمى بكل ما يبهر العين دون تبصر أو تفكير .

ويساعد على ذلك مايشعر به ذ ووالنفوس الضعيفة والقلوب المريضة من الضيق بأثقال الواجبات ، أو تبعات الفرائض ، التى تحمل على معالجة المكاره ، أو الحرمان من اللذات .

٣ — ومع أن الدين تقوم بعض قواعده على نظرية الثواب والعقاب ، والترغيب والترهيب ، لايرى الفرد آثار هذه النظرية ملموسة سافرة فى حياته الدنيا ، ولايحس لها كياناً شاخصاً يتصل بحياته اتصالا مباشراً ، ويطالعه عياناً ومشاهدة ، ومن ثمّ يتمادى الفرد فى غيه وضلاله ؛ لأن شيئا من الثواب المادى ، أو العقاب المادى لايصيبه فورعمله ، ولاينالـه إثر تصرفاته ، ولأن قدرته على التعامل فى مجتمعه لايدركها غالباً فتور أو تعويق ؛ لأن الدين ليس نوعاً من المهارات التى تكتسب من المواد التعليمية الأخرى ، والتى تتخذ ذريعة لكسب العيش ، وقضاء المصالح الحيوية .

ويؤيد ذلك ما نراه فى بعض الأسر الحكيمة التى تأخذ أبناءها بالحزم والشدة فى تأدية

الفرائض ، والتمسك بالخلق القويم ، وتتابع مراقبتها لهم ، ومحاسبتها إياهم على كل ما يصدر عنهم من قول أو فعل ، إن هؤلاء الأبناء — بدافع من الخوف والرهبة — يتقون غضبة أولياءهم فى الأسرة ؛ فتستقيم أعمالهم ، وتحسن أخلاقهم ، وهم بهذه الرقابة اليقظة الواعية ينشئون مثلا صالحة ، آمنين الانحراف والضلال .

(ب) وفى المدرسة :

١ — تبدو آفة التعليم الدينى فى أننا نعتبر الدين مادة دراسية لها خطتها ومناهجها وكتبها وامتحاناتها ، وأن الغاية منها إنما هى الحفظ والتحصيل والفهم والإلمام ، وأن التلاميذ يتفاضلون فيما بينهم فى الدين بمدى ما بينهم من فروق فيما حفظوه ، وما ألموا به ، أما السلوك وأما الخلق فذلك لاحساب له فى موازين التقويم .

وهذه النظرة السطحية الخاطئة كانت آفة التعليم الدينى فى المدارس ؛ لأن الدين — فوق ذلك — روح ومما رسة عملية للسلوك الرشيد .

ولانقصد بكلامنا هذا أن نغضّ من شأن المعارف الدينية ، أو أن ننتقص من قدرها وقيمتها ؛ فإن لها — ولا شك — أثراً قويًّا فى التكوين الدينى للناشئين ، لها أثر قوى فى رياضة النفوس ، وإلانة القلوب ، وتهذيب الوجدان ، وفى سلامة العقيدة ، وصحة العبادة ، ولكنا نريد أن نقول : إن هذه المعارف الدينية — على اختلاف أنواعها وألوانها — إذا لم تنعكس آثارها على التلميذ سلوكاً قويماً ، ووجداناً نقيًّا صافياً ، وضميراً حيًّا ، ولفظاً مهذباً ، وعملا حميداً ، وممارسة رشيدة للفضائل والآداب الدينية — إذا أخفقت تلك المعارف الدينية فى أن تصل بالتلميذ إلى هذه المستويات السلوكية ، فإننا حينئذ لانستطيع أن ندّعى أننا فعلنا شيئاً مجدياً فى التربية الدينية .

من آفة التعليم الدينى أننا نعتبره مادة دراسية لها زمن محدود فى الخطة ، هو حصة أو حصتان فى الأسبوع ، ويظن كل من المدرس والتلميذ أنه بانتهاء هذه الحصة أو هاتين الحصتين قد فرغ من مهمته الدينية ، وأن واجبه الدينى قد انقضى فى هذا الأسبوع ، وهذا فهم خاطئ ؛ فإن الدين — بطبيعته وبجوهره — عملية لها استمرار وامتداد واتصال ، لاتتقيد بزمن محدد ، ثم يتخلى عنها . إنه استثارة دائمة للرغبة فى الثواب ، وبعث دائب للخوف من العقاب ، واستحضار كامل لمعانى الهدى وما تتطلبه من طاعة وانقياد ، وتدبر

واع لنزوات الضلال ومغالبتها بالتوقى والحذر وكبح الجماح .

من آفة التعليم الدينى أننا نعتبره مادة دراسية ، لها مكان محدود تتردد فيه أصداء التعاليم الإسلامية ، هذا المكان هو حجرة الدراسة التى تحدها جدران أربعة ، ويحمل بابها لافتة من الورق أو المعدن ، هذا هو المجال الرسمى للتربية الدينية ، فإذا ترك التلاميذ هذه الحجرة ، تركوا وراءهم هذه المعارف الدينية ، وهذه التعاليم الإسلامية هائمة سابحة ، لاتصحبهم إلى مسجد المدرسة ليصلوا ، ولا تصحبهم إلى الفناء حين يلعبون ويمرحون ويعبثون ، ولا تصحبهم فى الرحلات التى يتاح لهم فيها الحرية والانطلاق ، ولاتصحبهم إلى الحفلات التى تتسع لهم فيها فرص المتعة والبشر والابتهاج ، ولا تصحبهم إلى الملعب الذى يحتشدون فيه للتفرج برؤية المسابقات والمباريات ، ولاتصحبهم فى وسائل المواصلات ، حيث يختلطون بجماهير المواطنين ، ويبدون أمام الرأى العام نموذجاً للشباب الذى هو موضع الأمل ، ومناط الرجاء ، لاتصحبهم إلى أى موقف من هذه المواقف الحيوية الطبيعية ، التى يمارسون فيها نشاطهم وحريتهم على الفطرة والسليقة .

فالعزلة إذاً قائمة — مع الأسف — بين التعليم الدينى النظرى داخل الفصول ، والسلوك العملى خارج الفصول ، ومن الطبيعى أن يكون هذا السلوك نتيجة حتمية مباشرة لتلك التعاليم الدينية . ومع هذا لسنا من المتشائمين الذين يرون أن هذه العزلة مطردة فى جميع التلاميذ ؛ فإننا — والحمد لله — ما نزال نرى نماذج طيبة فى بعض أبنائنا التلاميذ ، ولكن مما يؤسف له أن هؤلاء التلاميذ مساكين ؛ مساكين لأنهم قلة ، ومساكين لأنهم يبدون وسط زملائهم كالغرباء ، ومساكين لأنهم موضع التندّر والتفكه والتغامز والتنابز ، ما يكاد طالب فى مدرسة يظهر بين إخوانه بالصلاح والتقوى والغيرة الدينية ، حتى تنوشه الألسنة السليطة الحادة ، فى جد مرّ ، أو مزاح مرذول ثقيل .

٢ — وكثير من المدارس لايعنى بإشاعة الروح الدينية فى المدرسة ، وإذا كنا نفهم من كلمة « الروح » فى معرض الحديث عن السياسة ، أو الجندية ، أو الرياضة ، أو التربية ، أو غير ذلك ، حين نقول : روح سياسية ، أو روح عسكرية ، أو روح رياضية ، أو روح تربوية — إذا كنا نفهم من كلمة « روح » فى هذه الاستعمالات الطريقة أو الطابع أو الأسلوب . فإننا نفهم من الروح الدينية فى المدارس معنى أهم وأعز وأسمى ، ذلك المعنى هو الذى نفهمه من الروح التى هى قوام الحياة فى الكائن الحى ، وإننا حين نعالج

الدراسة الدينية فى المدارس دون اهتمام بهذه الروح الدينية نشيعها فى الجو المدرسى ، فإنما نعالج جسداً هامداً خامداً ، لاحراك فيه ، ولا انبعاث له ؛ لأنه لا حياة به ، ولا روح فيه .

ولكى نشيع الروح الدينية فى المدرسة ، ولكى نرسم معالم الاتجاه السديد فى التعليم الدينى بالمدارس ، بعد ما أسلفناه من القول فى تحديد عناصر المشكلة وأبعادها ، وما قررناه فى شرح المقوّمات الأساسية لنجاح هذا التعليم — يجمل بنا أن نركز القول فى طائفة من الوصايا ، عرضنا كثيراً منها فيما سبق ، وعلينا أن نؤمن بها ، ونهتدى بهديها فى معالجة التعليم الدينى بالمدارس ، ومن هذه الوصايا :

١ — أن تحرص المدرسة — جادّة مخلصة — على أن تحاط دروس الدين بالإجلال والتوقير ، وأن تختفى منها ظواهر الاستخفاف والاستهتار .

٢ — أن يزيد احتفال المدارس بالشعائر الدينية ، وإقامتها بصورة لائقة كريمة ، بريئة من المظهرية والرياء .

٣ — أن تتابع المدرسة بعيون ساهرة يقظة سلوك الطلاب ، وتراقبهم مراقبة مستمرة واعية ، فى جميع المجالات والمواقف ، وأن تبادر بالحزم والشدة كل من يشذ أو يحيد عن الجادّة بالقول الساقط ، أو الفعل الذميم .

٤ — أن تعمل المدرسة دائماً على توفير صور القدوة الحسنة للطلاب .

٥ — أن ترصد جوائز قيمة للطلاب الذين يمتازون بسمو أخلاقهم ، ويظفرون بثناء المدرسة عليهم ، وتقدير العاملين فيها لحميد سلوكهم .

٦ — أن تزيد عناية المدرسة بالإذاعة الدينية ، وما يلقى فيها ، وأن يراقب التلاميذ فى وقت هذه الإذاعة ، وأن تكون المادة التى يستمعون إليها حية قوية التأثير ، يجدون فيها العلاج الدينى لما يصادفونه من مشكلات دنيوية ، وما يستشعرونه من أزمات نفسية .

٧ — أن يتمثل دائماً فى تصرفات المدرسة اتجاهها إلى التنشئة الدينية على أنها تربية النفس والروح ، وتعهد الخلق والضمير ، وتكوين الوجدان الدينى ، أكثر من اتجاهها إلى قصر الجهد الدينى على معالجة المعارف والمعلومات بالإلقاء والتلقين .

٨ — الاهتمام بهذه التربية ، وهذا التعهد فيما يسمى بالنشاط المدرسى فى المجال الدينى ، وقد عقدنا — فى موضع آخر من هذا الكتاب — باباً خاصًّا بهذا الموضوع .